

نفحات القرآن

[73] بأن مصيرهم ما كان هذا لو أنهم استغلوا عقولهم، وهذا الاعتراف الكاشف عن الندم، دليل على أن سلوكهم لهذا الطريق كان باختيارهم. وإذا زعم بعض المفسرين كالفخر الرازي عند تفسيره للآية الاولى أنها دليل على الجبر، فإن الثانية تنفي مزاعمه وتصلح لأن تكون مفسرةً للاولى لأن "القرآن يفسر بعضه بعضاً". وعلى أي حال فإن العلاقة بين "جهنم" و"الجهل" مسلمة في القرآن وتنصح في الأبحاث القادمة أكثر(1). * * * 27 - الجهل مصدر انحطاط البشر: (النَّارُ شَرٌّ الدُّرُّ وَآبٌ عِندَ الْبُكْمِ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) (الأنفال / 22) إنَّ هذه الآية والتي قبلها تُشيران إلى موضوع واحد لكن الأثير تشير له صراحة والسابقة لها تلميحاً، والموضوع هو: إن الإنسان متى ما ترك الاستعانة بوسائل المعرفة التي منحها الله له فإنه سينحط ويسقط إلى مستوى يجعله أضل من جميع الدواب التي على وجه الأرض، ولم لا يكون كذلك مَنْ بإمكانه أن يصل إلى أعلى عليين في جوار ربِّ العالمين، وأن يصل إلى مقام "لا يرى به إلا" ، ولكن بتركه جمع المواهب والمدح الإلهية فإنه سيسقط إلى أسفل سافلين. إضافةً إلى هذا، فإن الإنسان الذي لا يسير في جادة الخير والهداية، فإنه سيستخدم تلقائياً جميع المواهب والقابليات الإلهية في سبيل الشر، وسيرتكب جرائم مفرجة ويخترع وسائل رهيبه لم يدر إلى مستوى وحشيته أيُّ من الحيوانات المفترسة. كما نشاهد نماذج في عصرنا الحاضر عند أُناس بعيدين عن

1 - في حديث للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول فيه: "إن الله أوحى إليَّ أنَّه مَنْ سلك مسلكاً يطلب فيه العلم سهلت له طريقاً إلى الجنة". (بحار الأنوار الجزء 1 الصفحة 173).